جمع وترتيب : العبد الفقير إلى عفو ربه

عبد اللّه أحمد عبد اللطيف



حقوق الطبع متاحة لكل مسلم يرغب في طباعة هذا الكتاب أو نشره بأية وسيلة
من وسائل النشر، على أن يبقى نص الكتاب كما هو دون أي تغيير

أإله مع الله ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

يا رب حمدا ليس غيرك يحمد

يا من له كل الخلائق تصمد

أبواب كل مملك قد أوصدت

ورأيت بابك واسعاً لا يوصد

إليك وإلا لا تشد الركائب

ومنك وإلا فالمؤمل خائب

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

وفيك وإلا فالكلام مضيع [1]

---

(١) حمودة عبد العزيز ، تونس ، ق١٣.

أما بعد : أخي المحب الفاضل فهذه وريقات مختصرة عن أمر ضرره خطير وشرره مستطير يندى له الجبين ويقطع نياط القلب ويدع المؤمن الصادق في حيرة ؛ كتبتها رحمةً وشفقة على من وقع أو غفل عن خطرها وضررها وما تجر إليه من مفاسد عقدية – ندعو الله لمن حاله كذلك أن يلهمه رشده ويرده إلى الحق والصواب – هو ما وقع فيه بعض الناس – هدانا الله وإياهم – مما لا ينافي كمال التوحيد فحسب بل ينافي أصل التوحيد ممن يعاهد الله في كل ركعة بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٤] فتقديم المفعول (إياك) على العامل (نعبد) مفيد الاختصاص ، وذلك ما دلت عليه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهو يعاهد الله بأن يخص الله بالعبادة دون سواه فلا يعبد إلا إياه ولا يستعين ولا يتوكل ولا يذبح ولا ينذر

ولا يطوف ولا يسجد ولا يدعو ولا يصرف أي نـوع من أنواع العبادة لغير الله ، وهذا هو مقتـضى شـهادة أن (لا إلـه إلا الله) معناهـا : لا معبـود بحـق إلا الله ، لا يستحق العبادة إلا الله فلا يصرف أي نوع من أنواع العبـادة لغـيره ؛ ثم تـراه يـدعو الأمـوات والغـائبين والمقبورين مـن الأنبيـاء والأوليـاء وغيرهـم ويطلـب منـهم العـون والمـدد والغـوث والنـصرة والـشفاء ، ويطيل العكوف عنـد القبـور تعظيمـا بـل يـسجد لهـا ويطـوف حولهـا ويقـدم النـذور والقـرابين ؛ فتـرى أضرحة ورفاتـا ، وقبـورا ومقامـات ؛ صـارت هـي الملجـأ عنـد الملمـات ؛ صـارت هـي المفـزع عنـد الكربات ؛ بالدعاء وطلـب العـون والمـدد لا يطلـب حاجته من الحي القدير سبحانه وتعـالى ، وإنـما من الميت الذي لا يقدر على شيء !!!!

أنسي مولاه ؟! الذي : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] وهو الذي ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [الزمر : ٦٣] وهو سبحانه ﴿ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس : ٨٣] و ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [الروم : ٢٦] ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] رب الناس ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢ - ٣] ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

أإله مع الله ؟!

ألم يطرق سمعه ما ذكره الله تعالى عن أبي الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨] فالله هو الذي يهدي ويغني ويشفي عز وجل ؛ وهو الذي تطلب منه الحاجات ؛ فكيف تدعو غير الله !! وتطلب الحاجات من غير الله !!

هذا الولي الميت مخلوق مثلك عبدٌ مملوك .. لا يسمعك ولا يجيبك ؛ ادع الله وحده لا شريك له ؛ أين هم عن الله الملك الحق المبين ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن

شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾؟ [الروم : ٤٠] فكيف ينصرف المخلوق عن مولاه - الذي خلقه ثم رزقـــه ثم يميته ثم يحييه - إلى مخلوق مثله! ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] ؟؟!!!

أإلهٌ مع الله يَخلق ؟ أإله مع الله يَرزق ؟ أإله مع الله يحيي ؟ أإلـه مـع الله يميـت ؟ مـن خلقـك ؟ مـن رزقك ؟ من أحياك ؟ من يميتك ؟ !!!!

أإلهٌ مع الله فيدعى ؟ أإله مع الله فيرجـى ؟ أإلـه مع الله فيستغاث به ؟ أإله مع الله فيطلـب منـه العـون والنصرة والشفاء والرزق والمدد ؟ أإله مـع الله فيـذبح له ؟ أإله مع الله فينذر له ؟ أإلـه مـع الله فيطـاف لـه ؟ أإله مع الله فيسجد له ؟ أإله مع الله فيحلف به ؟ أإلـه

مع الله فيتوكل عليه ؟ أإله مع الله ؟ أإله مع الله ؟ أمعبود بحق مع الله ؟؟!!!

سبحان الله كيف يسوي المخلوق العاجز الضعيف الفقير الميت بالله الخالق القوي الغني العظيم الكبير المتعال الحي الذي لا يموت !!!!! ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧] أي في خسار وتبار بصرف العبادة لكم . سبحان الله كيف نساوي مع الله في محبته وتعظيمه وإجلاله وخشيته ورجائه وعبوديته ، مخلوقا نبيا أو ملكا أو وليا !!!!!. عجب أيما عجب ممن يأتي المقبورين فيدعوهم ليقضوا حاجته ويفرجوا كربته ؛ فمنهم من يقول : أُريد أيها الولي ولدا ، ويريد الآخر وظيفة ، وذلك يستغيث على ظالم ظلمه وتلك تريد ولداً أو زوجاً أو غيره وهكذا دواليك .

والله ﷻ يقول لهـــم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ [الحج : ٧٣] .

ومما يذكر في هذا الصدد : ما حُكي عـن سـادن - وهو الذي يخدم مكانا معينـا - أنـه كـان جالـساً في مزار لقبر مشهور فجاء رجل يطلب من صاحب القـبر (الولي) - لا من الله - النجـدة لأن امرأتـه تلـد ولادة متعسرة ! وانصرف هذا الرجل ثم جاء رجل آخر مـن بعده ليطلب مـن صـاحب القـبر مـساعدة ابنـه الـذي دخل في الامتحان ، فهو يطلب أن ينجحه ، وفي هذه اللحظة قال له السادن : إن الولي (صاحب القبر) ليس

هنا الآن فقد ذهب لتوليد امرأة حامل تعسرت ولادتها!!

وفي بعض البلدان لما هاجمهم العدو خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم قائلين :

يا خائفين من التتر
لوذوا بقبر أبي عمر

عوذوا بقبر أبي عمر
ينجيكم من الضرر

سبحان الله !!!! يستغيثون ويدعون أمواتاً ! سكنوا الأضرحة ويطلبون منهم العون والنصرة والمدد ! فهل هذا إلا للتعظيم والإجلال والرهبة وتعلُّق القلب بالضريح وصاحبه؟ والله يقول : ﴿ قُلِ

ﭐدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٥٦] ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٧] ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] وهذا الحكم ليس

خاصا بالمشركين الأوائل بل يعم كل من فعـــل مثل فعلهم ويأخذ حكمهم أليس كذلك ؟ وإلا ما الفرق بينه وبينهم ؟ ما الذي يخرجه منهم ؟

ألم يقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النمل : ٦٢] .

فما يُدعى من دون الله ، من أصنام أو جن أو ملائكة أو أنبياء أو صالحين ، لا يسمعون دعاء من دعاهم وأنهم ما يملكون من قطمير[١] ، فهم لا يملكون ما يطلب منهم ولا يستطيعون أن يسمعوا : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر : ١٤] هذا كلام الحق سبحانه وتعـــالى ، ثم قــــال : ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا

(١) وهو اللفافة التي على النواة .

ﭐسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ﴾ [فاطر : ١٤] فلو فرض أنهم سمعوا لم يستجيبوا لعجزهم ثم قال : ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾ [فاطر : ١٤] فسمى دعاءهم إياهم شركا بهم . وتأمل في قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [الشرح : ٧ ،٨] ولم يقل : ارغب إلى الأنبياء والصالحين .

وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ يقول تعالى ذكره : وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك دون من سواه من خلقه إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد .

ولم يأمر رسول ﷺ أحدا من أصحابه رضي الله عنهم إذا نزلت به حاجة أو مصيبة أن يتوجه إليه ويستغيث به بعد موته بل قال لابن عباس رضي الله عنهما : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)[1] ، بل قال تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك . لأنه يلزم منه أن الميت يسمع كل نجوى ودعاء ولا يخفى عليه شيء من ذلك : ويلزم منه أنه سميع بصير بالغيب . لا يخفى عليه شيء مما يدعو به الناس . لا تلتبس عليه المسائل يسمع المستغيثين أينما كانوا قريبين أو بعيدين بالآلاف كانوا أم بالملايين . كأن

(١) رواه الترمذي .

هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم ويطلب منهم من الحاجات المختلفة بلغات متباينة فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا ويميزون كل لغة عن الأخرى ولو كان الكلام بها في آن واحد وهذا هو الشرك في صفات الله تعالى الذي جهله كثير من الناس فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى .

سبحان الله لقد خفيت أمور على النبي ﷺ يوم أن كان حياً : قال تعالى عن بعض المنافقين : ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة : ١٠١] . وخفي عليه قتل القراء السبعين من الصحابة .. .الخ وسيأتي المزيد في هذا .

أقول : هذا كلام من ؟ حكم من ؟ قول من ؟ إنه القرآن إنه كتاب الله ؟

أإله مع الله؟!

سُبحان الله وكأن القوم - هدانا الله وإياهم - ما مرَّت على أسماعهم هذه الآيات وهي صريحة واضحة بَيِّنَة محكمة ، وربما قرؤوها مرارًا وتكرارًا بل وحفظوها ، وإني عليهم مُشْفِق وناصح ؛ أدعوهم أن يتدبروها ويتأملوها ويفكِّروا فيها ، وهل عملوا بما دلَّت عليه؟ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد : ٢٤] ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ٨٧] إذا دعوت نبياً أو غيره ، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدِر على سؤالك ، وأرحم بك من ربك ؛ فهذا جهل وضلال ، ولا حُجة لك على ذلك لا نقلاً ولا عقلاً ، ولا يحتج أحد بما هو بعينه حجةٌ عليه ، اللهم إلا من ابتُلي بسوء الفهم وفساد التصور . وإن كنت تعلم أن اللهَ أعلم وأقدر وأرحم ، فلِماذا عدَلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟

وهو سبحانه القائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:٦٠] والقائل:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة:١٨٦] لماذا يفزعون إلى غيره؟هل الله جل جلاله عاجز؟! هل الأموات أقرب إليكم من الله وأرحم بكم منه؟! .. وأعلم بحاجاتكم منه .! . أم وجدتم أن الله لا يسمع دعاءكم ولا يتقبل عبادتكم حتى تذلوا لعبيده ؟ .. . لا يقول ذلك مسلم .

فلجوؤهم إلى غير الله ينبئ ويدل على ماذا ؟؟

أفتُراكَ تَنْكسِر عِندَ بَابِ اللهِ وتَتَعلّقُ بِه فَلا يُعْطِيك ؟!

أم تُراهُ يرُدّك وأَنْت الوَاثِقُ بِه .المُطْمَئِنّ إليْه . المُلِحّ فِي دُعَائِه غُدوةً وعَشِيّا ؟!

والعبد لا يترك ما يحبه ويهواه إلا لما يحبه ويهواه ، ولكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة مَاذا دَهَى إيْماننا وثِقتنا بِالله ؟! لِمَاذا أضْحَى الأمْواتُ مَلْجَأً مِن دُونِه ؟! لا تَجْعَل أحَدًا بَيْنَك وبَيْنَه ، أيًّا كَان هَذا الأحَدْ [.! .]

أتشكو الحياة لعبد فقير
وتنسى الإله العلي القدير

وتسكب دمعا لغير الإله
فهذا وربي لجرم كبير

فكل الخلائق إن أنصفتك
دخان أراه وحتما يطير

وقصد العباد يعود بذل
وعسرك عند الإله يسير

فلا غير ربك يوما تنـادي

لنعم المولى ونعـم النـصير[1]

يا محب تعال معي قليلاً : هـل ذهـب الـصحابة رضوان الله عنهم لقبر النبي ﷺ يستغيثون به؟ فعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّـابِ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُـوا اسْتَـسْقَى بِالْعَبَّـاسِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِبِ فَقَـالَ : «اللَّهُـمَّ إِنَّـا كُنَّـا نَتَوَسَّـلُ إِلَيْـكَ بِنَبِيِّنَـا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْـكَ بِعَـمِّ نَبِيِّنَـا فَاسْـقِنَا» . قَـالَ : فَيُسْقَوْنَ .[2] رواه البخاري .

(١) للشاعر : عماد إبراهيم النابي .

(٢) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع المسند الـصحيح ، (دار طوق النجاة ، بدون : م ، ط : الأولى ، ١٤٢٢هـ) في كتاب : أصحاب الـنبي ﷺ ، بـاب : ذكـر العبـاس بـن عبـد المطلـب ، ك : ٦٢ ، ب : ١١ ، ح : ٣٧١٠ (٥/٢٠) .

فلو كان طلب الشفاعة والتوسل بالأموات جائزا لما عدل الصحابة رضي الله عنهم عن التوسل بالنبي ﷺ والاستشفاع به إلى العباس ﵁ .

وتأمل يا رعاك الله : هل رأيت أو سمعت أن ميتاً قام أو خرج من قبره فتكلم أو مد يده أو سمع! أو لذي حاجة شفع ! أو للبلوى والمرض رفع ! أو للمصيبة دفع أو للغائب أرجع ! أو لغيره أسرع لنصرته ونجدته ونفع !

لماذا هم في قبورهم مرتهنون لم لا يخرجون ؟ إذا كانوا في حياتهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؛ فكيف وهم أموات ؟ لماذا يقصدون ؟ إن هو إلا اعتقاد أنهم يجلبون النفع أو يدفعون الضر وإلا لماذا يقصدون ؟؟

ثم إنه لا يوجد على وجه الأرض من يدعو من يعتقد فيه أنه لا يملك الإجابة والنفع والضر إلا أن يكون مجنوناً . فهل هناك عاقل يقول : أغثني يا من لا تملك نفعاً ولا ضراً ؟! إلا أن يكون معتقداً فيهم التأثير وكشف الضر وتحصيل النفع اللهم إلا أن يكون مجنوناً فحينئذ لا يؤاخذه الله على شرك أكبر ولا أصغر .

الحق أنه لم يلتجئ إليهم إلا لاعتقاده فيهم النفع والضر . فإن ما في القلب من الاعتقاد الفاسد قد عبّر عنه اللسان فصار يلهج بنداء غير الله : أغث يا ولي ، المدد يا ولي ، شيء لله يا سيدي ، ثم عبّر عنه العمل فصار يقبّل جدران القبور ويمسحها بيده ويذبح النذور عندها على نية الشفاء .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠، ٢١] .

ما أعظمها من آية في النعي على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والأموات ، ويطلب منه ما لا يستطيع جلبه لنفسه ، أو دفعه عنها » فليشغل من يستغيث بهم فكره ويحكم عقله ويتدبر حاله وأمره ، فلا يمكن لأي عاقل يحتفظ بفطرته السليمة أن يصدق أن الميت يمكنه القيام بأي عمل بعد أن خرجت روحه من بدنه وبطلت حركته وفقد القدرة على التصرف وأكل الدود جسده ، وأصبح عظاما بالية - إلا الأنبياء فإن الله حرَّم على الأرض أجسادهم - وهم مع هذا كله كغيرهم في أن دعاءهم والاستغاثة بهم شرك بالله تبارك وتعالى .

من الذي يصدق مثل هـذه المـزاعم ؟ لأن هـذه المزاعم التي يزعمونها مما يستحيل أن يفعلـها الأحيـاء فضلا عن الأموات ! فهل نلغي عقولنا التي منحنـا الله لنصدقها ؟

إن العقول المـستنيرة والفطـرة الـسليمة تـرفض بشدة تصديق مثل هذه الخرافات لما في ذلك من مخالفة لسنن الله الشرعية والكونية .

قد يقول لك قائل : إننا لم نعبد أهل القبـور ولم نطلـب منـهم مباشـرة أن يـشفوا مرضـانا أو يفرجـوا كرباتنا فإننا نعلم أن هذا بيد الله وحده ولكـن لكوننـا مذنبين وعصاة طلبنا مـن أصـحاب الجـاه الأوليـاء أن يشفعوا لنا عند الله ويكونوا وسطاء بيننا وبينه فهـؤلاء الأولياء لهم جاه عند الله ، ونحن عنـدنا مـن الـذنوب ما يجعلنا نخجل ، ونستحي أن نطلب مـن الله مباشـرة مقصودنا .؟

والجواب :

أولاً : أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فهو ليس كالمخلوقين يحتاج إلى من يعرفه بحاجة أحد ، أو يبين له ضرورة فلان أو يتوسط له عنده .

ثانياً : إن هؤلاء المدعوين الأموات لا يملكون الضر ولا النفع لأنفسهم فكيف ينفعون غيرهم ! ذكر الله عن مؤمن ياسين أنه قال : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ [يس : ٢٣] أي : لا تنفعني شفاعتهم . فدل على أن من مقاصد المشركين : الشفاعة ، يدَّعُون أن هذه الأوثان التي يعبدونها تشفع لهم عند الله . وفي قوله : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ؟ استفهام

إنكار وتوبيخ وتقريع ، أي أيصح ذلك عقلاً؟ أيجوز اتخاذ غيره إلهاً ؟ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي : هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئا . فإن الله لو أرادني بسوء ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس : ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ، ولا ينقذونني مما أنا فيه .

ثالثاً : إن هذه مقالة المشركين والله تعالى عاب على المشركين جعلهم الشفعاء بينهم وبينه وسماهم بسبب ذلك مشركين ، قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا

عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] سمى عملهم شركا ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] فرد الله عليهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر : ٣] سماهم كذبة كفرة ؛ لأن الأموات ما يقربونهم إلى الله زلفى ، الأموات مرتهنون بأعمالهم ، أليس في هذا رد كاف وشاف من رب العباد ؟؟!!

وقد يقول قائلهم : إن مشركي العرب لم يكونوا يعترفون بالربوبية لله تعالى ونحن نعترف بأن الله تعالى هو الرب المدبّر الخالق؟

فالجواب عن ذلك : إن مشركي العرب مقرون بتوحيد الربوبية ، فلم ينازعوا فيه ، والدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، واستحل دماءهم كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر قوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله !

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] فكانوا يعلمون أن الله ربهم وهو خالقهم وهو رازقهم وكانوا مع ذلك يشركون .

وقد يدعون أن الآيات القرآنية نزلت فيمن يعبد الأصنام والأحجار فلا تشملهم؟

والجواب : أن الشرك بالله أن يجعل لله نداً في العبادة سواءً كان صنماً أو حجراً أو نبياً أو ولياً ، والْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهُم الْقُرْآنُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ ، وَالصَّالِحِينَ ، وَاللاَّتَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ وعِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ في الدُّعَاءِ ، وَالذَّبْحِ ، وَالالْتِجَاءِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإلاّ فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدٌ لله ، وَتَحْتَ قَهْره ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأمْرَ وَلكِنْ دَعَوْهُمْ

وَالْتَجَأوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ والشَّفَاعَةِ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًا .

وقد يدعون : أن سؤالهم أرباب القبور من أجل طلب الشفاعة ، فهؤلاء الموتى شفعاء بينهم وبين الله تعالى؟

والجواب : أن الله قد سمى اتخاذ الشفعاء شركاً ، فقال سبحانه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

وأمر آخر أن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ [الزمر : ٤٤] وقال

عز وجل : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ، ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكاً لها ، بل هذا ممتنع ، كما يمتنع أن يكون خالقاً ورباً . قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٣] فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه ، ولم يثبت أن مخلوقاً يملك الشفاعة ، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد ، لا شريك له في الملك .

ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط : أن فاعلي ذلك ينسونها إذا اشتد الكرب ، وهذا دليل فطري على سقوط تلك الواسطة وبطلانها ، إذ لو كانت نافعة حقا لاستمروا في دعائها ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] ، ﴿ قُلْ

أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ ، ٤١] .

كما يجاب أيضاً :

إن الله تعالى أعطى الأنبياء والأولياء الشفاعة ، لكن نهانا عن سؤالهم ودعائهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] فالله تعالى لم يجعل سؤال الأموات سبباً للمغفرة أو إجابة الدعاء ، وإنما أمر أن يكون الدعاء له وحده ، فقال : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] فطلب الشفاعة نوع من الدعاء ، ولا يكون الدعاء إلا لله تعالى وحده .

كما أن إعطاء الله الأنبياء والأولياء الشفاعة ليس تمليكاً مطلقاً ، بل هو تمليك معلّق على الإذن والرضا ، وسيد الشفعاء ﷺ لا يشفع حتى يقال له : (ارفع رأسك يا محمد ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع) رواه البخاري[1] .

واعلم أن الله تعالى أعطى الشفاعة غير النبي ﷺ فالملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون . فهل نطلب الشفاعة من هؤلاء؟ فإن كنت تريد من الرسول ﷺ الشفاعة فقل : (اللهم شفع فيَّ نبيك محمداً رسول الله ﷺ) وكيف تريد شفاعة رسول الله ﷺ وأنت تدعوه ﷺ مباشرة ، ودعاء غير الله شرك

(١) الجامع المسند الصحيح للبخاري - مرجع سابق - في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ ، ك : ٦٠ ، ب : ٣ ، ح : ٣٣٤٠ (١٣٤/٤) .

أكبر مخرج من الملة ، وقد كان النبي ﷺ إذا خرج لزيارة قبور أهل البقيع سلم عليهم ودعا لهم فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) رواه مسلم [1] ، فالميت محتاج للشفاعة والدعاء من الأحياء له ولا العكس وذلك أن المقصود من الصلاة على الميت هو الدعاء له ، والاستغفار لأجله ، والشفاعة فيه ، فإنا لما كنا وقفنا على جنازته ندعو له ولا ندعو به ، ونشفع له ولا نستشفع به يقولُ ﷺ : «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ

(١) النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، (دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون : ط ، بدون : ت) في كتاب : الجنائز ، باب : ما يقول عند دخول القبور ، ك : ١١ ، ب : ٣٥ ، ح : ٩٧٤ ، (٢/٦٦٩) .

يَمُوتُ ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» . رواه مسلم[1] وبعد الدفن أولى وأحرى ؛ لأنه في قبره بعد الدفن أشد احتياجًا إلى الدعاء منه على نعشه ؛ فإنه حينئذٍ معرَّض للسؤال وغيره ، وقد روى أبو داود عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : أنه - عليه السلام - كان إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه ، وقال : «استغفروا لأخيكم ؛ وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ...» [2] . «فهذه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أهل

(١) المرجع السابق ، في كتاب : الجنائز ، باب : من صلى عليه أربعون ، ك : ١١ ، ب : ١٩ ، ح : ٩٤٨ ، (٦٥٥/٢) .

(٢) الشيباني ، أحمد بن حنبل ، السنة ، (دار ابن القيم ، الدمام ، ط الأولى ١٤٠٦هـ) ٢ .

القبور وهذه سنة الخلفاء الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين فبدَّل غيرهم هذا الأمر فعكسوا الأمر .

ولعل بعضهم يقول : قد دعونا الميت فشفينا؟

والجواب : أن هذه الحكايات إما كذب ، أو غلط ، أو ليست حجة . - بقضاء الله تعالى - فقد يكون سببه اضطرار الداعي وصدقه ، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له ، وقد يكون أمراً قضاه الله لا لأجل دعائه ، وقد يكون له أسباب أخرى . وقد تكون تلك الحكايات صحيحة ، ولكنها من الشيطان ، فإنه قد يتراءى لبعضهم في صورة من يعتقد فيه ، ويتسمى باسمه ، وقد تقضي الشياطين بعض حوائج من استغاث بالأموات . فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت ، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلّمه

ببعض ما سأله عنه ، وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصوّرت على صورته لتضله ، وتضل أتباعه ، فتحسّن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله - والعياذ بالله - وقد يقع لبعض الناس كونه يدعو الميت ويشفى ، وهذا يقع استدراجاً وابتلاءً وامتحاناً ، والله هو الشافي سبحانه وتعالى ، وقد يكون المرض من أسباب الشياطين - بقضاء الله تعالى وقدره - يسببون المرض للإنسان حتى إذا دعا الميت كفوا عما قد فعلوه - كما ذكرنا - وقد يصادف القدر الذي قدره الله بالشفاء فيظنه من أسباب الميت ، وبكل حال فإن الله هو الذي يشفي ويعافي سبحانه وتعالى ، والولي وغير الولي لا يملك ذلك ، فهو مملوك لله سبحانه وتعالى ، والله تعالى هو النافع الضار عز وجل ، فينبغي التنبه لهذا الأمر .

وربما أوردوا أحاديث مكذوبة مختلقة لا أصل لها ، وضعها أشباه عُباد الأصنام ، من المقابرية ، على رسول الله ﷺ تُناقض دينه وما جاء به كحديث «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه» وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام ، وضعها المشركون ، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال ، والله بعث رسوله ﷺ يقتل من حسّن ظنه بالأحجار ، وجنّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق .

ثم إن الحديث عن دعاواهم والرد عليها طويل جداً ، وإنما ذكرنا بعضاً منه مما يكفي من ألقى السمع وهو شهيد ؛ ليحقق إخلاصه لله ويحقق اتباع سنة نبيه ﷺ .

فالدعاء عبادة وكل رسول يقرع أسماع قومه أول ما يدعوهم إلى عبادة الله وحده

لا شريك له : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾ [هود : ٨٤] . أما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] أما قال : ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٨٠] أما قال : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] أما قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر : ٢] والنسك هو : الذبح ، وبين سبحانه في هذه الآية أن الذبح لغير الله شرك بالله كالصلاة لغير الله ، وفي الحديث (لعن الله من ذبح لغير الله) رواه مسلم .[١]

---

(١) المسند الصحيح المختصر ، في كتاب : الأضاحي ، باب :=

أما قال : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] فالطواف عبادة مكانها الكعبة لا تصرف لغير الله أمر بها في الحج بل جعله ركنا لا يتم للعبد حجة إلا إذا طاف بالبيت . ومما يدل على أن الطواف عبادة : دلالة الاقتران في قـــــوله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] فقرن الله بين الطواف وجملة من العبادات ومن ذلك : الاعتكاف ، والصلاة . والنذر نوع من أنواع العبادة ، لا يجوز صرفه لغير الله تعالى أما قال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] في

= تحريم الـذبح لغـير الله ، ك : ٣٥ ، ب : ٨ ، ح : ١٩٧٨ ، (١٥٦٧/٣) .

ذكره لصفات الأبرار . وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة : ٢٧٥]، وقال تعالى : ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج : ٢٢] وقال : ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر : ١٤] وقال تعالى : ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت : ٥٦] فهل تصرف العبادات لغير الله ؟؟ !!!

ويقال لهؤلاء : أترون الذبح والنذر والدعاء والطواف والسجود من العبادة أم لا؟ فإن قالوا : إن ذلك من العبادة ، قيل لهم : فصرف العبادة لغير الله شرك ولا شك . وانظر كيف أن طيرا وهو : الهدهد ، أنكر على ملكة سبأ وقومها سجودهم للشمس . فقال : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل : ٢٥] تتحرك الغيرة على التوحيد في قلب طير ويأبى أن يرى أحدًا يسجد لغير الله ، كيف يسجدون لغير الله؟ وكيف تخضع رؤوسهم وتنحني رقابهم أمام المخلوقين دون رب العالمين؟ فيا الله !! كيف لو مر الهدهد على بعض ديار المسلمين اليوم ورأى ذلك الإقبال وذلك الاندفاع إلى القباب والقبور والأضرحة! وكيف لو سمع تلك الاستغاثات والصيحات بطلب المدد من بعض المسلمين تتوجه لغير الله من أموات مقبورين وغائبين ! فبعضهم يقول : (شيء لله يا ولي شيء لله يا سيدي ، شيء لله يا شيخي ، نظرة يا نبي) .

فابكِ إن شئت على حال الأمة وقلب طرفك في بلاد الإسلام .. وابك على حال أمة (لا إله إلا الله)

أإله مع الله ؟!

إنها حقيقة مؤسفة مُرّة فمتى ينتبه لها المسلمون ودعاة الإسلام ؟

ألا لا يكن الهدهد أغير منك على التوحيد ، ومسكين من كان الهدهد خيرًا منه .

فيا من تشهد أن لا إله إلا الله ، وتعاهد الله في كل ركعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذا ضاقت في وجهك الدنيا فقل : يا ألله ، إذا سدت في وجهك الأبواب فقل : يا ألله ، إذا انقطع عنك الرزق وقل في يدك المال وتكاثرت الديون فقل : يا ألله ، إذا زادت عليك الأحزان وداهمتك الخطوب والهموم فقل : يا ألله ، إذا كان المرض لك رفيقا فأعياك فقل : يا ألله يا ألله يا ألله .

إنه الله إذا حلّ الهمُّ وخيّم الغمُّ واشتد الكرب وعظم الخطب وضاقت السُّبل وبارت الحيل نادى المنادي : يا ألله يا ألله .

لا تدع سوى الله لا ولياً ولا شيخاً ولا صاحب طريقة ولا نبياً ولا رسولاً ولا أي مخلوق سوى الله .

فالأولياء والأنبياء لا يملكون شيئا ، والله يقول لنبيّه : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، فإذا كان خير البشرية ﷺ لا يملكه لنفسه فهل يملكه لغيره ؟! ولماذا أمر نبيّه ﷺ أن يقول للناس : ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن : ٢١]؟ وحين أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . قال : ﷺ : (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم

من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئا) رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦) . أي : لا أنفعك بشيء دون الله ، ولا أمنعك من شيء أراده الله لك ؛ فالنبي ﷺ لا يغني عن أحد شيئا حتى عن أبيه وأمه . فهذا كلام النبي ﷺ لأقاربه الأقربين : عمه ، وعمته ، وابنته ؛ فما بالك بمن هم أبعد ؟ فعدم إغنائه عنهم شيئا من باب أولى . يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] فسمى الدعاء عبادة وتوعد من صرفه لغير الله بجهنم ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ

ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] فعجبا أيما عجب لقارئ يقرأ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم : يا سيدي مدد !

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ

إن كان في القلب إسلام وإيمان[1]

ولا أدري أيعتقدون أن الله لا يعلم بحاجاتهم؟ أو أن الله لا يجيب دعواتهم ؟ أو أنه وكل هؤلاء الموتى بقضاء حوائج الشافعين ؟ أما قرع أسماعهم قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ولم يقل : {ادعوا

---

(١) نونية أبي البقاء الرندي ، في رثاء الأندلس .

أوليائي وأنبيائي } ؟! وفي الحديث «الدعاء هو العبادة » رواه الترمذي (حديث حسن صحيح)[1] .

وفي الحـديث «إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلْ اللَّـهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»رواه أحمد والترمذي[2] .

وفي الحديث : «من لم يـسأل الله يغـضب عليـه» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[3] .

---

(١) الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي الجامع الكبير، (دار الغـــرب الإســـلامي ، بـــيروت ، ط : بـــدون ، ١٤١٨هـ) ، ح : ٢٩٦٩ ، ٦١/٥ .

(٢) الشيباني ، أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمـد ، (مؤسـسة الرسالة ، م : بدون ، ط الأولى ١٤٢١هــ) ح : ٢٧٦٣ ، ٤٨٨/٤ .

(٣) سـنن الترمـذي الجـامع الكـبير - مرجـع سـابق ، ح : ٣٣٧٣ ، ٣١٧/٥ .

ولله در من قال :

لا تــسـأَلن بــني آدم حاجــة

وسل الذي أبوابه لا تحجـب

الله يغضب إن تركـت سـؤاله

وسل الذي أبوابه لا تحجـب

وقول الآخر :

لــذ بالإلــه لا تـــلذ بــسواه

من لاذ بالمولى الكريم حماه[1]

وقول الآخر :

ومن استعان بغير الله في طلب

فإن ناصره عجز وخذلان[2]

---

(١) الشاعر : الحاج لطفي الياسيني .

(٢) أبو الفتح البستي .

ما حكم من يدعو غير الله ؟

يجيبه المولى عز وجل : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] فإن فعل فالله يجيبه ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] والآيةُ نَصٌّ في أنَّ دعاءَ غير الله والاستغاثة به شِركٌ أكبر .

يقول أحد المهتدين : لما تأملت قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ١٥] قلت : يا ناس الولي فقير! والأولياء فقراء! ونحن فقراء إلى الله ، فلماذا ندعوهم من دون الله؟ بل حتى الأنبياء أنفسهم فقراء محتاجون إلى الله فهو ذو الربوبية ، والملك ، والإلهية ؛ فهو رب كل شيء ومليكه

وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة لـه ، مملوكـة عبيـد لـه وهو الخالق المدبر المتصرف في الكون كله هو الله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

أنـا الفقيـر إلـى رب الـسماوات
أنـا المـسكين في مجمـوع حـالاتي
أنا الظلـوم لنفـسي وهـي ظـالمتي
والخير إن جاءنا من عنـده يأتـي
لا أستطيع لنفسي جلـب منفعـة
ولا عن النفس في دفع المضـرات
ولـيس لي دونـه مـولى يـدبرني
ولا شفيـع إلـى رب البـريـات
إلا بـإذن مـن الرحمـن خالقنـا
رب السماء كما قد جاء في الآيـات

ولست أملك شيئا دونــه أبــدا

ولا شريك أنا في بعض ضراتي

ولا ظهيــــر لــــه كـــي أعظمـــه

كمـا يكون لأربـاب الولايـات

والفقـــر لي وصـــف لازم أبـــدا

كمـا الغنـا وصــف لـــه ذات

وهذه الحال حال الخلق أجمعهـــم

وكلهـم عنـده عبــد لـــه آت

فمـن بغـى مطلبـا دون خالقـــه

فهو الظلوم الجهول المشرك العات

والحمد لله مـلء الكـــون أجمعـــه

ما كان منـه ومـن بعـده يأتـــي

ثم الصلاة على المختار من مـضر

خير البرية من مـــاض ومـــن آت

ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النمل : ٦٥] وقوله عز وجل : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ [يونس : ٢٠] وقوله : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] وقوله : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود : ٣١] فإذا كان الأنبياء لا يعلمون الغيب فكيف بمن

دونهم؟ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[1] . رواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف : ٩] فلقد خفيت أمور على النبي ﷺ يوم أن كان حيا : قال تعالى عن بعض المنافقين : ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ

(١) الجامع المسند الصحيح للبخاري - مرجع سابق - . في كتاب : التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ، ك : ٩٧، ب : ٤ ، ح : ٧٣٧٩ (١١٦/٩) .

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] وفي حديث الحوض : «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(١)] رواه البخاري ومسلم . وكذا واقعةُ خَلعِ نعلهِ في الصَّلاة عندما أعلمه جبريل عليه السلام بنجاستها فلم يعلم ﷺ بذلك حتى أعلمه جبريل رواه أحمد وأبو داود[(٢)] وكذا واقِعة فقد عائشة رضي الله عنها في السَّفر عن هودجها وضَياعِ عِقدِها رواه البخاري . وكذا ما وقع له من أن جرواً كان تحت سَريره وهو لا يدري ،

---

(١) المرجع السابق ، ك : الرقاق ، ب : الحوض ، ح٦٥٨٤ ، ١٣٠/٨ .

(٢) السجستاني ، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ط : بدون ، ت : بدون) ح : ٦٥٠ ، ك : الصلاة ، ب : الصلاة في النعل ، ١٧٥/١ .

فأعلمه جبريل عليه السلام .[1] أخرجه ابن أبي عاصم وخفي عليه قتل القراء السبعين من الصحابة رضي الله عنهم . فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب في حياته إلا ما أعلمه الله فكيف بعد وفاته !!!

(١) الشيباني ، أحمد بن عمرو ، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ، (دار الراية ، الرياض ، ط الأولى ١٤١١هـ) ح : ٣٤٤٣، ٢١١/٦ .

وإليك يا محب ما يترتب على الشرك الأكبر من أخطار وعظائم :

١- مخرج من ملة الإسلام : لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] فسمى من دعا غير الله كافراً مرتداً عن الإسلام والمرتد عن الإسلام لا تحل له زوجته ، ولا ذبيحته ، ولا أضحيته وليس له ولاية ولا حضانة على أولاده لا يرث ولا يورث إذا مات ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يدعى له بالمغفرة والرحمة .

٢- محرم من دخول الجنان ومخلد لصاحبه في النيران : لقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ

حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

٣- **موعود صاحبه بعدم الغفران** : لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] .

٤- **محبط للأعمال** : لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥ ، ٦٦] .

أخي الحبيب : هل هناك أدلة أصح وأصرح وأظهر وأبين من هذه الآيات البينات الواضحات الصريحات وما تدل عليه ؟!!

أخي الحبيب : هذا كلام من ؟ هذا حكم من ؟ هذا قول من ؟ هذا كلام الله ، هذا حكم الله ، هذا شرع الله ، هذا دين الله ، هذا كتاب الله ينطق بيننا ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران : ٨٣] .

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٥] ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي

مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ [لقمان : ١١] ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ ﴾ [الطور : ٣٥ - ٣٦] ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور : ٤٣] .

ومن **العادات الشائعة** لدى بعض زوار القبور في بعض البلدان : التمسح بقبور الصالحين وما قد يوضع على الجدران والبراويز والأبواب وغيرها من عود وشبابيك وقضبان الحديد ، وتقبيلها ومسحها بالأيدي والوجوه والرؤوس والصدور والمناديل ، ثم مسح الأطفال تبركاً أو الاستشفاء بتربتها ، ونقل شيء منها لإهدائه للآخرين ، أو ربط الخرق والخيوط حول جدرانه ثم يمسحون على رؤوسهم ورؤوس أبنائهم . وقد يحتفظ بهذه المناديل دون غيرها لتمسح

بها بقية أفراد الأسرة ممن لم يتمكنوا من الزيارة لأن الاعتقاد السائد عند هؤلاء أن البركة تسري من الولي إلى ضريحه إلى المناديل والملابس التي مسحت بها . والأغرب من ذلك ما يحدث عند تغيير كسوة ضريح حيث يسعى الجميع للحصول على قطع من هذه الكسوة ، ومن هؤلاء من يمرغون وجوههم بالأعتاب والتراب بل التبرك برؤية القبر وأقبح من هذا تقبيل الأرض حول القبر كل ذلك من البدع المذمومة ومظهر من مظاهر الخرافة عند بعض الزوار وغير ذلك مِمَّا يتفطّر له قلب كل مؤمن موحّد مُشفق على دينه وعلى أمته ، ولست أتجنّى أو أُبالغ فيما ذكرته ، فالواقع يشهد وينطق بحالهم .

وليحكم العقل على العاطفة ولنأت إلى هذه الآثار الموجودة من عود وشبابيك وأبواب وأعمدة

ومنبر ونتساءل : هـل لامـست رسـول الله ﷺ أو هـو مسها أو كانـت مـن وضـع يـده أو عاصـرته أو حـتى عاصرت أصحابه ﵃ ؟

إن الواقـع لينـادي بكـل صـراحة أنهـا كلـها وضعت من بعده لا بل بعشرات السنين بـل بمئاتهـا ؛ فعلى عقول من يقبل أو يمسح أو يتبرك بها على عقلـه العفاء ، فقد كان سلف الأمة رضوان الله عليهم أشـد حباً وأقوى عاطفـة وأحـرص علـى التـبرك بـه ﷺ ولم ينقل عن واحد منهم شيء من ذلك .

تنبيه مهم :

المساجد التي فيها قبور لا يصلى فيها يقول ﷺ : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1] متفق عليه .

وحذر من ذلك بقوله : (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) [2]

---

(١) في صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - مرجع سابق - في كتاب : الصلاة ، باب : الصلاة في البيعة ، ك : ٨ ، ح : ٤٣٥ ، ٩٥/١ .

وفي صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر) - مرجع سابق - في كتاب : الصلاة ، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور ، ك : ٥ ، ب : ٣ ، ح : ٥٣١ ، (٣٧٧/١) .

(٢) صحيح مسلم ، - المرجع السابق - في كتاب : الصلاة ، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور ، ك : ٥ ، ب : ٣ ، ح : ٥٣٢ ، (٣٧٧/١) .

رواه مسلم ، وفي الحديث المتفق عليه «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله» [1] .

وقوله ﷺ : «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد»[2] «لا تصلوا إلى القبور ، ولا تجلسوا عليها»[3] رواه مسلم .

---

(١) في صحيح البخاري - المرجع السابق - في كتاب : الصلاة باب : الصلاة في البيعة ، ك : ٨ ، ح : ٤٣٤ ، ١/٩٤ .

(٢) النيسابوري ، محمد بن إسحاق ، صحيح ابن خزيمة ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: بدون ، ت : بدون) ك : الصلاة ، ب : الزجر عن اتخاذ القبور مساجد ، ح : ٧٨٩ ، ٢/٦ .

(٣) صحيح مسلم - المرجع السابق - كتاب : الجنائز ، باب : النهي عن الجلوس على القبور ، ك : ١١ ، ب : ٣٣ ، ح : ٩٧٢ ، ٢/٦٦٨ .

«الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»[1] رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

فنهى عليه السلام عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من فعل ذلك وأخبر أنهم شرار الخلق . واحتجاجهم بوجود قبر النبي ﷺ ، وقبر صاحبيه رضي الله عنهما في مسجده فلا حجة في ذلك لأمور :

أولاً : الأحاديث الصحيحة المتقدمة المانعة من ذلك .

ثانياً : أن الصحابة رضي الله عنهم لم يدفنوه في مسجده ، وإنما دفنوه وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما في بيت عائشة رضي الله عنها ، فلما وَسَّعَ الوليد بن عبد الملك مسجد النبي ﷺ في آخر القرن الأول بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم أدخل الحجرة

(١) مسند أحمد – مرجع سابق – ح : ١١٧٨٤ ، ٣٠٨/١٨ .

في المسجد ، وقد أساء في ذلـك ، وأنكـر عليـه بعض أهل العلم ، ولكنه اعتقد أن ذلك لا بأس به من أجل التوسعة .

ثالثاً : أحاديـث النـهي عـن اتخـاذ القبـور مـساجد تشمل جميع المساجد التي فيهـا قبـور إلا المـسجد النبوي ، لأن له فضيلة خاصة لا توجد في شيء من المساجد المبنية على القبور من ذلك :

١ - قوله ﷺ : «صـلاة في مـسجدي هـذا خـير مـن ألف صلاة فيمـا سـواه إلا المـسجد الحـرام» [1] أخرجه أحمد .

٢ - وقوله أيضا - ﷺ - : «مـا بـين بـيتي ومنـبري روضة من رياض الجنة» [2] أخرجه الطبراني .

---

(١) مسند الامام أحمد - مرجع سابق- ح : ١٦٠٥ ، ٣ /١٥٨.

(٢) الطبراني ، سليمان بن أحمـد ، (دار الحـرمين ، القـاهرة ، ط : بدون ، ت : بدون) ح : ٩٨ ، ٣٧/١ .

٣ - وقوله : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا»[1] متفق عليه ولغير ذلك من الفضائل ، فلو قيل بكراهة الصلاة فيه كان معنى ذلك تسويته مع غيره من المساجد ، ورفع هذه الفضائل عنه ، وهذا لا يجوز كما هو ظاهر .

وخلاصة القول :

١ - **حكم الصلاة فيه** : من أعظم المساجد التي يصلى فيها وهي بألف صلاة لما ورد عن أم المؤمنين

(١) صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - مرجع سابق - في كتاب : فضل الصلاة في مسجد مكة ، باب : فضل الصلاة في مسجد مكة ، ك : ٢ ، ب : ١ ، ح : ٤٣٥ ، ٩٥/١ .

ميمونة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ : «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ» [1] .

٢ - **حكم وجود القبر** : خطأ ارتكبه الوليد بن عبد الملك ، ولم يكن آنذاك أحد من الصحابة رضي الله عنهم في المدينة .

٣ - **وهل يمنع من الصلاة فيه ؟** قطعا لا ، ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة على مر القرون ، ولا يصح القول بذلك لأن فيه تفويت لما في المسجد من فضائل ، بخلاف غيره من المساجد.

وأختم هذه الرسالة بسؤال مهم جدا : **لماذا شرعت زيارة القبور؟**

---

(١) مسند الإمام أحمد - مرجع سابق - ح : ٢٦٨٣٥ ، ٤١٦/٤٤ .

أخي المسلم الحبيب رعاك مولاك وبحفظه تولاك في دنياك وأخراك اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه الله ويرضاه أن زيارة القبور شرعت لأمرين فقط هما : انتفاع الزائر بذكر الموت والدار الآخرة فيتعظ ويعتبر ثم نفع الميت المزور بالسلام عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة فقط ، وزيارة القبور ثلاثة أنواع :

النوع الأول : مشروع : وهو أن يزورها للسلام والدعاء لأهلها أو لتذكر الآخرة كما ذكرنا .

النوع الثاني : أن تزار للقراءة عندها أو للصلاة عندها أو للذبح لله عندها فهذه بدعة ومن وسائل الشرك .

النوع الثالث : أن يزورها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك أو لدعاء الميت من دون الله

أو لطلب المدد منه أو الغوث أو النصر فهذا شرك أكبر نسأل الله العافية .

وفي ختام هذه الرسالة أقول : إن الواجب على علماء الحق أن يتقوا الله وأن يعلموا الناس عن طريق الخطب والمواعظ وحلقات العلم والدروس والإذاعة ، والكتابة والصحافة والقنوات الناس دينهم ويرشدوهم إلى الحق حتى لا يعبدوا الأموات ويقعوا في المعاصي . ولنعلم أن كل إنسان خاسر إلا من استثناه الله بقوله : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر : ١ : ٣] فيا عبد الله : الله الله في الدعوة إلى الله والنصح لخلق الله ، يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : «بايعت رسول

الله ﷺ على إقـــام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1] مُتَّفق عليه . ويقول ﷺ : «لا يُؤمِنُ أحـــدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2] متفقٌ عليه . وعنوان سعادة العبد : إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع الخلق .

فلننصح ونرحم من وقع في مثل هـذه الأفعـال فربما وقع بعضهم فيهـا عـن جهـل أو غفلـة أو تقليـد أعمى رآهم يفعلون ففعل مثلـهم أو أنـه ملـبس عليـه أو اغتر بأصحاب العمائم وعلماء الضلال فإذا بينـت له ذلك وذكـرت لـه الحجـج العقليـة والمشاهدة هـل

---

(١) صحيح البخاري (الجامع الـصحيح) - مرجـع سـابق - في كتـاب : مواقيـت الـصلاة ، بـاب : البيعـة علـى إقامـة الصلاة ، ك : ٩ ، ب : ٣ ، ح : ٥٢٤ ، ١١١/١ .

(٢) المرجع السابق - في كتاب : الإيمان ، باب : من الإيمـان أن يحب لأخيه ك : ٢ ، ب : ٦ ، ح : ١٣ ، ١٢/١.

رأيت ميتا قام من قبره أو تكلم أو رد على من يدعوه ؟ وأوقفه على الآيات الصريحة البينة الواضحة بالرفق واللين والحكمة ليتدبرها ويتفكر فيها ويتأملها ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩] ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [محمد : ٢٤] وتذكيره أن عليه الاعتماد على نصوص الشرع من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة والحرص على الانفكاك مما عليه الآباء والأجداد والتقاليد والأعراف المخالفة للدين الحق ، ولو قال بها بعض من ينتسب إلى العلم ، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر).[1]

---

(١) ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ) ١٦٨/٢ .

أخي وحبيبي : لم تصم أُذنك وتُغمِض عينك وتُغلق فطرتك وتُغَطِّي عقلك عن سماعِ كلام من يدعوك إلى عدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله؟ ما المانع أن تطّلع وتقرأ ؟ ، فإن صلح ورأيته موافقاً للكتاب والسنة فُخذه وإلا فلا يضيرك معرفة كلامه شيئاً قل له أخي الكريم : لا تعجل في الحكم وعليك أن تقرأ وتتدبر وتتمهل في الاطلاع والقراءة – وإن كنت أعلم ممن تقرأ له – فإن فوق كل ذي علم عليم . ولعلك علمت شيئاً واختفت عنك أشياء وليكن غايتك الحق والتحلي بما ينصره ويعضده الدليل والتخلي من التعصب المذموم والتقليد الأعمى .

ورحم الله امرأ بعد ما بان له الحق بدليله أن يتبع الحق ويدع ما سار عليه وألفه من بدع وعادات

مخالفة للشرع والتبعة للآخرين بلا برهان ورحم الله امرأ انتهى إلى ما سمع [والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها] ولا تغتر بالكثرة وما عليه غالب الناس فعمل الناس ليس هو الحكم وإنما الحكم والدليل هو الكتاب والسنة - بفهم السلف الصالح - قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] وقال جل شأنه : ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

أخي الفاضل أكرر : لا ينبغي للمسلم أن يغتر بالكثرة ولا بأحسابهم ولا بأنسابهم ولا بشهرتهم وإنما الحكم بيننا جميعاً الكتاب والسنة .

أإله مع الله ؟!

هذا غلام من شباب الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لا يتجاوز عمره عشر سنين عندما بُعث محمد ﷺ وجاءه الوحي بادر فكان أول من أسلم ودخل في الإسلام إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وفي هذا دليل واضح على رجحان عقله وعلو همته وسمو نفسه وهو في هذه السن !! فلم يستصغر نفسه ويقول : من أنا حتى أتقدم على كبار قومي في هذا الأمر الجلل !! فبمجرد أنه عرف الحق وتبين له الباطل الذي يعيش عليه مجتمعه شهد شهادة الحق ولم يقل كيف أخالف أهلي وقومي وعشيرتي !!

أخي الحبيب : اقبل الحق وإن صدر ممن هو أصغر منك وإن كان ممن أقل منك علما فالمسلم لا يحقر من المعروف شيئاً .. فلعل كلمة صادقة

أو موقفا لطفل لا تلقي له بالاً .. يكون سبباً في هداية إنسان ونقله من طريق الشر إلى طريق الخير ..

وأمثل لك بموقفين : **الموقف الأول** : للإمام أبي حنيفة رحمه الله مع غلام : رأى الإمام أبو حنيفة غلاماً يلعب بالطين ، فقال له : يا غلام إياك والسقوط في الطين . فقال الغلام للإمام : إياك أنتَ من السقوط ، لأن سقوطَ العالِمِ سُقوطُ العالَمِ . فكان أبو حنيفة لا يُفتي بعد سماع هذه الكلمة إلا بعد مُدارسة المسألة شهراً كاملاً مع تلامذته[1] .

والموقف الثاني : للإمام أحمد مع شارب الخمر والأعرابي . قال الإمامُ أحمد : كلمتان نفعني اللهُ بهما في المحنةِ . **الأولى** : لرجُلٍ حُبس في شربِ الخمْرِ ،

---

(١) مقدمة حاشية ابن عابدين ١ – ٦٧ .

فقال : يا أحمدُ ، اثبتْ ، فإنك تُجلدُ في السُّنَّةِ ، وأنا جُلِدْتُ في الخمرِ مراراً ، وقدْ صبرْتُ . ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾ ، ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

الثانيةُ : لأعرابيٍّ قال للإمامِ أحمد - والإمامُ أحمدُ قدْ أُخِذَ إلى الحبْسِ ، وهو مقيَّدٌ بالسلاسلِ : يا أحمدُ ، اصبرْ ، فإنَّما تُقتل منْ هنا ، وتدخُلُ الجنة منْ هنا . ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

حين سجن لأجل أن يقول القرآن مخلوق وليس منزل عندها سجن مع رجل يشرب الخمر فقال شارب الخمر للإمام أحمد : يا أحمد في خارج السجن الأمة

تنتظر ما تقول ، والله إنك تجلد لأجل دينك وأنا أشرب الخمر فأجلد عليه ولم أتركه فإياك أن تكون عزيمتك أضعف من عزيمتي ، فيقول الإمام أحمد : كان ضمن من شد أزري فلم أعد أحس بالضرب ..

أقول : أقوال الرجال يستضاء بها في فهم الكتاب والسنة فإذا خالفت شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله ردت على قائلها. فأقوالهم يحتج لها ولا يحتج بها كما ذكر ذلك غير واحد من المحققين . فأزل ما بأذنك من كرسف واعرض ما قلدت فيه غيرك على الوحيين تخرج بكل فضيلة وخير ولا تقل كما قال الظالمون : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢] . وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ

إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

هل أنت منهم ؟ !! أما أبو طالب .. فقد دعاه محمد ﷺ إلى الحق .. فاقتنع وآمن في داخله ..لكنه صعب عليه أن يخالف عادات قومه .. فقال :

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .. ومات على الشرك ..

وأما آزر .. فقد دعاه ولده إبراهيم عليه السلام إلى الحق .. فما هان عليه أن يخالف الآباء والأجداد ..

فقال : ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [هود : ٦٢] .. ومات على الشرك .

فانتبه أن تكون مثل هؤلاء .. تعرف صور الشرك ثم تتكبر عن قبول الحق .. لأنك لا يهون عليك مخالفة الآباء والأجداد .. الذين عاشوا وماتوا

على ذلك ... والله إني لأربـأ بـك والله إني لأربـأ بـك والله إني لأربأ بك فاتبع الحـق .. وقـل آمنـت بـالله ثم استقم ..

لا تكن كمسلمة الدار وكن كمسلمة الاختيار على بينة وهدى وبصيرة ونور من الله تعبد ربك ومولاك ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر : ٢٢] .

كن رجاعا إلى الحق ... ناصحا لغيرك ..

وأنت ولله الحمد عنـدك تمييـز ومعرفـة وعقـل وإدراك . وأنت أنتَ طالب علم ، أنت لست حاطب ليل يأخذ ما هـب ودب ، بـل لا تأخـذ إلا مـا صـفا وبالكتاب والسنة وفهـم الـصحابة رضـي الله عنـهم .

فاتبع السلف تسلم وتغنم ولا يغرنك جلالة متبع فتتبعه في الخطأ فإنك بذلك تزري بالسلف الذي هم أولى بالاتباع منه وتزري بأعيان الأئمة كالأربعة السادة الفقهاء وغيرهم وإن ارتضيت مذاهبهم في الفروع فحري بك ارتضاؤهم في الأصول بل ذلك الواجب وإلا فما السر في تقليدهم في الفروع ومخالفتهم في الأصول ؟!

فانصح وادع فلعله يتوب ويرجع فكم رجع من رجع وكم تاب من تاب وأقلع ، وأناب إلى رب العباد من أناب بسبب نصيحة وموعظة وتذكير فادع إلى الله يا هذا ولا تتكاسل وتتقاعس وتذكر قول المولى : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨] وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك الله ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه ؟ !!!! أما تعلم أن هذا

العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه ، وعمل المصطفين من أتباعهم ؟!!! فكما اصطفى الله الأنبياء لهذا الواجب ، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب أيضاً ، إنّكَ والله لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة ، لأنَّكَ لست من المصطفين . فلا تنس أن تترك لك بصمة في خدمة دينك .

وفي دعوتنا نجعل نصب أعيننا قول الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] فقد دل ذلك دلالة واضحة أن الكلمة الطيبة والقول الحسن من أنجح أساليب دعوة الناس لتوحيد رب الناس والبعد عن الشرك ورد الخلق لحياض الدين وتوحيد رب العالمين .

إخواني نحن قوم أعزنا الله وشرفنا بالإسلام خلقنا واستخلفنا في هذه الأرض لنعمرها بعبادة الله ودعوة الناس لدين الله واستنقاذهم من عبادة الخلق والقبور والأصنام والحيوانات لعبادة الله رب البريات ، وإن تولينا وأعرضنا عن ذلك فالله تعالى يقول : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد : ٣٨] فمَن يحمل هذا النور ؟؟ مَن يَحملُ هذا الإسلام لأولئك الذين يعيشون في الظلام ؟؟ من الذي سيسقي الدنيا كأس الفطرة وكأس التوحيد ، لتروى بعد ظمأ ولتهتدي بعد ضلال ؟؟ مَن ؟؟؟؟؟ أنتِ يا أُمّة الإسلام !!!! أنتِ يا أُمّة التوحيد !!!! ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] انصح قبل أن يتعلق

برقبتك الجاهل فيقول : يا رب خذ حقي من فلان رآني على ما يغضبك فسكت وداهن وجامل فيا رب خذ حقي منه فأعد لهذا السؤال جوابا وليكن جوابك حقا صوابا ، وإلا لا أخال الساكت ناجياً .

ولله در القائل[1] :

أَريحي الهوى يا أمَّ شَمْعٍ ومِشْعَل
على كلِّ قبرٍ دارسٍ أو مُجَلَّلِ
فلستُ بِراجٍ قبرَ مَنْ كنتُ زائراً
أقبرَ وَلِيٍّ كان أم قبرَ مُرْسَلِ
فَمَنْ يَرْجُ أو يَنْزِلْ بِمَيْتٍ فإنَّما
رَجائي بِحَيٍّ لا يموتُ ومَنْزِلي
فيا راجياً غَوْثَ الرِّفاعيِّ دَهْرَهُ
متى جاءَ غَوْثٌ مِنْ تُرابٍ وجَنْدَلِ

(١) القصيدة التوحيدية للشيخ خليل سليمان الطرابلسي .

فلــو كــان غَيَّاثــاً لمــا احتــاجَ حُفْـرَةً
تَقيهِ وُحوشاً إنْ تَنَلْ منـهُ تَأكَـلِ
فَدَعْ مَيِّتاً يحتاجُ لِلقبرِ واسـتغِثْ
بِحَـــيٍّ كـــريمٍ مُـــنْعِمٍ مُتَفَـــضِّل
ويا أَيُّها الرّاجي حُـسَيْناً لِكَرْبـةٍ
أترجو لِكَرْبٍ مَنْ أَصيبَ بِكَرْبَـلِ
فَلَوْلا حُسَينٌ كان يَمْلِكُ نَجْـدَةً
لَأنْجَدَ نَفْساً منهُ في ضَـنْكِ مَنْـزِلِ
فَدَعْ كَرْبَلِيًّا واسـتَغِثْ بِمُهَـيْمِنٍ
بِــهِ الكَــرْبُ يُمْحــى والبَلِيّــاتُ
ويــا أَيُّهــا الرّاجــي عَلِيًّــا لِقَــوَّةٍ
أَترجــو القَــوى مِمَّـــنْ تَقَــوّى
فلــو كــان يَـسْتَغْنِى عــن الجُنْـدِ
لما ظَـلَّ يـشكو منـهمُ كـلَّ تِنْبَـلِ

فمـا لِعَلِـيٍّ لَـمْ يَـلِ البَـأْسَ وَحْـدَهُ
وما لِعَلِيٍّ وَحْدَهُ الحربَ لَمْ يَـلِ
وما لِعَلِيٍّ لَمْ يَـقِ القتـلَ نفـسَهُ
بِعاقِبَــةٍ جــارَتْ عليــهِ بِمَقْتَــلِ
فَخَلِّ ضعيفاً دونَ حـولٍ وقُـوَّةٍ
وبِاسْمِ القَوِيِّ الحقِّ سَبِّحْ وحَوْقِـلِ
ويا راجياً عيسى لِرِزْقٍ ومَأْكَـلٍ
متى كان عيسى فَيْضَ رِزْقٍ ومَأْكَـلِ
فها هُـوَ عيـسى يـسألُ اللهَ ربَّـهُ
كما جاءَ في إنجيلِ عيـسى المُنَـزَّلِ
هُوَ القائـلُ ارزقنـا كَفافـاً إلَهَنـا
فَما لَكَ عن رزّاق عيسى بِمَغْفَلِ
فَدَعْ سُؤْلَ عَبْدٍ ليس يَمْلِكُ رِزْقَـهُ
وَأَمِّلْ بِـرَبٍّ فـوقَ سُـؤْلِ المُؤَمِّـلِ

وَيا مَنْ يُرَجّي المصطفى لِبَلائِـهِ

لقد سِرْتَ ضِدَّ المصطفى فَتَمَهَّـلِ

فَما المصطفى كَرْبَ العبـادِ بِكاشـفٍ

ولا المُصطفى حالَ الورى بِمُحَـوِّلِ

فَلَوْ كانَ منهُ الأمرُ كانَ شَفى ابنَـهُ

وألقى الهدى في قلبِ عَمٍّ مُضَلَّلِ

فـلا تَـدْعُوَنَّ المـصطفى وَادْعُ

بِكافٍ ونونٍ مِنْـهُ هَمُّـكَ يَنْجَلـي

هُوَ اللهُ رَبُّ الكونِ والكـونُ عَبْـدُه

فـلا تَـسْأَلَنَّ العبـدَ واللهَ فَاسْـألِ

هُوَ اللهُ مولانا لهُ المُلكُ وَحْدَهُ

ولـيسَ لِغَيْـرِ اللهِ حَبَّـةَ خَـرْدَلِ

موعظة بعنوان وقفة عند قبر

يقول النبي ﷺ : «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه»[1] .

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه»[2] . وعن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى

---

(١) مسند الإمام أحمد - مرجع سابق - ح : ٤٥٤ ، ١ /٥٠٣ .

(٢) القزويني ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، (دار إحياء الكتاب العربي ، الحلبي ، ط : بدون ، ت : بدون) ح : ٤٢٦٧ ، ١٤٢٦/٢ .

بل الثرى ثم قال : «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا» [1] .
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : «كفى بالموت واعظا وكفى بالدهر مفرقا ، اليوم في الدور ، وغدا في القبور» [2] .

قال بعض السلف : (قيل لبعض الحكماء : ما أبلغ العظات ؟ قال : النظر إلى محلة الأموات) وقال بعضهم : (كفتك القبور مواعظ الأمم السابقة) .

وقال عمر بن ذر : (لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفا من يوم تتقلب فيه القلوب

(١) مسند الإمام أحمد - مرجع سابق - ح : ٤١٩٥ ، ٢ /١٤٠٢ .

(٢) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، (دار المعرفة ، لبنان ، ط الأولى ١٤١٧هـ) ١/ ٢٨ .

والأبصار) وقال حسين الجعفي : (أتى رجل قبرا محفورا فاطلع في اللحد فبكى واشتد بكاؤه فقال : أنت والله بيتي حقا والله إن استطعت لأعمرنك) .

يا من بدنياه اشتغل
وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة
والقبر صندوق العمل[1]

لذا ينبغي للمشيّع والزائر للقبور أن يكون قريباً من القبر ، فإن أعظم الناسِ تأثّراً بالجنازة من كان قريباً منها ينظر إلى حالها وحال أهلها ، فإن المقصود من تشييع الجنائز ودفنها : الاتعاظ بحال أهلها وقرابتها ، فيقوم الإِنسان على القبر وينظر إلى ذلك الميت المسجى المدلَّى وينظر إلى حاله إذا أُدخل القبر

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

مُتفكِّراً متدبراً متأملاً متذكراً حالته إذا كان مثله ، ناظراً في أهله وقرابته وأعز الناس عليه ، كل يكفكف دمعه لا يغني عنه من الله شيئاً ، فإن كان عزيزاً أو شريفاً أو وضيعاً نظر إليه وقد خرج من دنياه بقطن وكفن دون أن يزيد عليهما إلا بما قدم في الدنيا من صالح العمل وطالحه . ثم ينظر إليه بعد أن يُغلق عليه قبره وكيف ينفض أعز الناس عن يديه ترابه ، ثم يخرج من قبره حسيراً كسيراً ، ولو كان ابناً عزيزاً عليه أو ولداً غالياً عليه فيخرج من ذلك القبر صِفر اليدين من قريبه ، وأصبح ذلك الميت كأنه لم ير على وجه الأرض من قبل ذلك ، ثم إذا فرغ من ذلك كله نظر إلى حال القرابة وهم يُهيلون عليه التراب حتى إن عينك ترى الابن يهيل التراب على أمه وأبيه وصاحبته وبنيه لا يُغني عنه من الله شيئاً ، ثم ينظر إليهم وقد انصرفوا عن ذلك القبر وتركوه لما قدم من

صالح العمل أو طالحه ، ففي كل هذه المواقف تُذكر بالله . ولذلك قال بعض العلماء : إن حال الميت عند الدفن يكفي في الدلالة على الآخرة ، فلا يحتاج إلى موعظة بعد ذلك .

وذلك لأَنَّ دلالة الحال تغني عن المقال ، ومن نظر إلى القبور وأحوال أهلها انكسر قلبه ولذلك لا تجد إنسانا يحافظ على زيارة القبور مع التفكر والتأمل إذ يرى الآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأصحاب والخلان يرى منازلهم ويتذكر أنه قريب سيكون بينهم وأنهم جيران بعضهم لبعض قد انقطع التزاور بينهم مع الجيرة وأنه يتدانى القبران وبينهما ما بين السماء والأرض نعيما وجحيماً .

ما تذكر عبد هذه المنازل التي ندب النبي ﷺ إلى ذكرها وزيارتها إلا رق قلبه من خشيته تبارك وتعالى ولا وقف على شفير قبر فرآه محفورا فهيأ نفسه : على

ماذا يغلق ؟ وعلى من ؟ وعلى أي شيء ؟ أيغلق على مطيع أم عاصي ؟ أيغلق على نعيم أم جحيم ؟ ما نظر عبد هذه النظرات ولا استجاشت في نفسه هذه التأملات إلا اهتز قلبه من خشية الله ومراقبته وعظمته وحيائه وإجلاله .

واحرص أن تكون أحداث وصور الزيارة باقية في مخيلتك ماثلة أمامك بعد الزيارة فإذا تكاسلت نفسك عن طاعة من الطاعات تذكرت الزيارة فذكرتك بالآخرة مما يحفزك للطاعة وإذا همت نفسك بفعل معصية تذكرت الزيارة فذكرتك بالآخرة مما يحجزك عن المعصية فلا تنس القبر .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلها : اليومان : يوم يجيء البشير من الله عز وجل إمَّا برضاه وإما بسخطه ، ويوم الموقف بين يدي الله عز وجل . والليلتان : ليلة مبيت الميت

في قبره مع أهل القبور فلم يبت ليلة مثلها ، وليلة صبيحتها القيامة ليس بعدها ليلة)[1] . قال الشاعر :

فارقتُ موضع مَرْقدي
يوماً ففارقني السكون

القبرُ أولَ ليلةٍ
بالله قل لي ما يكون[2]

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها
لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة
وفيهم لك يا مغرور معتبر

---

(١) الجزري ، محمد بن محمد ، الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والكبائر ، (دار الكتب ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٦هـ) ١/ ٧٧ .

(٢) أبو القاسم المغربي .

كانوا ملوكاً تواريهم قصورهم

دهراً فوارتهم من بعدها الحُفر[1]

فعليك أخي الفاضل بزيارة القبور لما فيها من صلاح للقلب ، وحياة وتذكير بالآخرة .

هذا ما تيسر جمعه في هذه الرسالة الموجزة ، وقد انتهى ما رمناه وتم ما أردناه .

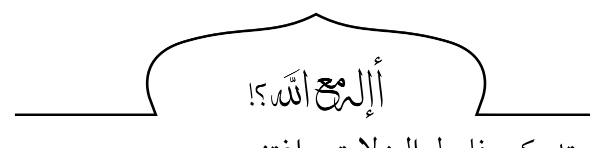
تبلى يدي بعد ما خطت أناملها

كأنه لم يكن طوعا لها القلم

يا نفس ويحك نوحي حسرة وأسى

على زمانك إذ وجدانك عدم

(١) ابن الجوزي البغدادي ، عبد الرحمن بن أبي الحسن ، (مؤسسة الكتب ، بيروت ، ط الثانية ١٤١٩هـ) .



واستدركي فارط الـزلات واغتنمـي

شــرخ الــشبيبة فالأوقــات تغتــنم

وقدمـــــي صالحــــا تزكـــو عواقبــه

يوم الحساب إذا مـا أبلـت الأمـم

وكان الفراغ من رقمـه غـرة شـهر شـوال لعـام ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين من هجرة المـصطفى ﷺ على يد مؤلفه العبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته العبد الأقل المنتظر للأجل : أحمـد بـن عبـد الله عاملـه الله بلطفه الخفي ، وآجره على عوائد بره الحفي وغفر لـه ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين .

وصـلى الله علـى نبينـا محمـد وعلـى آلـه وصحبه وسلم .

* * *